

المعرفة والإيديولوجيا في الإنتاج السوسيولوجي داخل الجامعة بين الحياد العلمي ورهانات السلطة.

The Sociology of Knowledge and Ideology in Sociological Production within the University: Between Scientific Neutrality and the Stakes of Power

مزياني محمد وليد، جامعة البليدة 2 / الجزائر

em.meziani@univ-blida2.dz

تاريخ النشر: 2025/12/31	تاريخ القبول: 2025/12/11	تاريخ الإرسال: 2024/12/03
----------------------------	-----------------------------	------------------------------

الملخص

يحلل هذا المقال الحقل الأكاديمي وإنتاج المعرفة من خلال إطار بورديو، معتبرا الجامعات فضاءات صراعية تُبنى فيها علاقات الفاعلين وفق رأس المال الرمزي غير المتكافئ. تنتج المؤسسات الأكاديمية البضائع الثقافية ضمن قواعد هرمية، مما يعزز الاستنساخ الاجتماعي ويحد التنوع النظري. ينتقل الباحثون بين هويتين مزدوجتين كمثقف عضوي وخبير تقني، متوازنين بين الالتزام الأخلاقي والحياد المهني. تُستخدم استراتيجيات مثل تقسيم الوقت، التضمين الخفي للقيم، واستخدام الجامعة كمنصة للتغيير الاجتماعي. يعمل السوسيولوجيون كوسطاء بين البنى الاجتماعية والتجربة الفردية، فيما تظل الإيديولوجيا جزءا من المنهجية، وتساهم الانعكاسية في تخفيف تأثيرها وفقًا لمفهوم «الموقف من القيمة» عند ويدر.

الكلمات المفتاحية: المعرفة، الإيديولوجيا، الإنتاج السوسيولوجي، الإنتاج الأكاديمي السلطة.

Abstract:

This article analyzes the academic field and knowledge production through Bourdieu's framework, portraying universities as contested spaces where actors' relationships are structured by unequal symbolic capital. Academic institutions produce cultural goods under hierarchical rules, reinforcing social reproduction and limiting theoretical diversity. Scholars navigate a dual identity between the organic intellectual and the technical expert, balancing ethical commitment and methodological neutrality. Strategies such as temporal division, implicit inclusion of values, and using universities as platforms for social change are employed. Sociologists act as mediators between societal structures and individual experience, while ideology is embedded in methodology and reflexivity mitigates, but does not eliminate, its influence, in line with Weber's "value stance."

Keywords: Knowledge, Ideology, Sociological Production, Academic Production, Power

مقدمة:

يطرح الإنتاج المعرفي داخل الجامعة - خاصة في مجال العلوم الاجتماعية - سؤالاً مركزياً حول طبيعة المعرفة المنتجة، ومدى خضوعها لرهانات اجتماعية وسياسية وثقافية تتجاوز حدود الأكاديمية الضيقة. فالجامعة، التي تُعد في الخطاب الرسمي فضاء للبحث والابتكار وتوليد المعنى، ليست كيانا محايدا، بل تتجذر داخل تشكيل اجتماعي وسياسي يحدد مساراتها، ويصوغ بنيتها، ويرسم حدود ما يمكن التفكير فيه وما يُستبعد من مجال التفكير. وهنا تتولد الإشكالية الكبرى: هل

المعرفة التي تنتج داخل الحقل الأكاديمي معرفة علمية صافية، أم أنها معرفة مشبعة – بدرجات متفاوتة – بإيديولوجيات مضمرة أو معلنة؟

تتضاعف أهمية هذا السؤال في السياق الجزائري، حيث تشكل الجامعة فضاء تتقاطع فيه الإرث التاريخي للدولة الوطنية، وبناء الهوية، ومتطلبات التنمية، وتدخلات المؤسسة البيروقراطية، وخطابات السلطة، وتوقعات المجتمع. كما أن العلوم الاجتماعية – وفي مقدمتها علم اجتماع التربية – تعد من أكثر المجالات تعرضاً لتأثير الإيديولوجيا، باعتبارها تشغل على الإنسان والتنشئة والرموز والقيم، وهي موضوعات يصعب تحييدها بالكامل.

وقد أشار بورديو إلى أن إنتاج المعرفة داخل المؤسسات الأكاديمية يخضع لبنية "مجال" يتحرك فيه الفاعلون وفق مصالح ورهانات ورؤى للعالم، مما يجعل المعرفة ذاتها "نتاجاً لصراع رمزي" أكثر من كونها نتاجاً لحياض مطلق. بينما يرى ألتوسير أن المؤسسات التعليمية تمثل إحدى أهم "الأجهزة الإيديولوجية للدولة"، أي أنها تعمل – بوعي أو دونه – على إعادة إنتاج أنماط التفكير السائدة. أما فوكو، فقد أكد أن المعرفة ليست بريئة، وأن كل معرفة ترتبط بـ "نظام سلطة" يحدد ما يمكن اعتباره حقيقة.

بناءً على هذا، يصبح من المشروع التساؤل حول الكيفية التي تتشكل بها المعرفة الجامعية في العلوم الاجتماعية، وكيف تتسلل الإيديولوجيا إلى المقررات، وإلى الخطاب الأكاديمي، وإلى تمثيلات الأساتذة، وإلى آليات

التأطير البيداغوجي. فالمسألة ليست مجرد تحليل نصوص، بل تحليل لبني الإنتاج المعرفي ذاتها

من هنا، تنطلق هذه الدراسة من مبدأ جدلية المعرفة والإيديولوجيا بوصفه مدخلا لفهم طبيعة الإنتاج السوسيولوجي داخل الجامعة الجزائرية، وذلك عبر تحليل معمق لمجموعة من الأبعاد: محتوى المقررات، دور الأساتذة، القيم الثقافية والسياسية، الخطاب الأكاديمي، آليات إعادة الإنتاج، وأدوات التحليل السوسيولوجي القادرة على كشف التحيزات الرمزية.

في ضوء ما سبق، يمكن صياغة الإشكالية الرئيسة للدراسة على النحو الآتي:

كيف تتداخل المعرفة العلمية والإيديولوجيا في بناء الإنتاج السوسيولوجي داخل الجامعة الجزائرية، وما هي الآليات والمؤثرات التي تجعل المعرفة الجامعية محكومة ببني رمزية وثقافية وسياسية قد تعيد إنتاج التصورات المهيمنة داخل الحقل الأكاديمي؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة البحثية:

1. ما طبيعة الإنتاج المعرفي في علم اجتماع التربية، وما الشروط التي تحدد مساراته داخل الجامعة؟
2. إلى أي مدى يمكن القول إن المعرفة العلمية المدرّسة أو المنتجة في العلوم الاجتماعية تخضع للتوجيه الإيديولوجي؟

3. كيف يظهر التأثير الإيديولوجي داخل المحتوى الجامعي، سواء في المقررات أو في المقاربات أو في المفاهيم؟

2. أهداف الورقة البحثية:

تهدف هذه الورقة إلى:

- تحليل طبيعة الإنتاج المعرفي داخل الجامعة وعلاقته بالبنى الاجتماعية التي تحدده.
- كشف مستويات التداخل بين المعرفة العلمية والإيديولوجيا في العلوم الاجتماعية، وخاصة علم اجتماع التربية.
- تشخيص مظاهر التوجيه الرمزي التي يتعرض لها محتوى المقررات الجامعية

3. أهمية الورقة البحثية:

تستمد هذه الورقة البحثية أهميتها من عدة مبررات علمية وتربوية:

1. أهمية الموضوع باعتباره في قلب النقاش العالمي حول استقلالية المعرفة وارتباطها ببنى السلطة.
2. أهمية السياق الجزائري الذي يتسم بتحولات سياسية واجتماعية وثقافية تجعل الجامعة فضاء حساسا لإعادة إنتاج الرموز والقيم.
3. ندرة الدراسات المحكّمة التي تتناول العلاقة بين المعرفي والإيديولوجي من منظور سوسيولوجي نقدي مع أمثلة تطبيقية محلية.

4. الحاجة الأكاديمية لفهم آليات إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية ومحاولة تجاوز حدود التلقين إلى بناء التفكير النقدي.

3. تحديد المفاهيم:

1.3 الانتاج المعرفي:

يشير الإنتاج المعرفي إلى مجموع العمليات التي يتم عبرها بناء المعرفة وتدوينها وتداولها وتحديد حدود مشروعيتها داخل الحقل الأكاديمي. فالمعرفة لا تولد في الفراغ، بل تتشكل عبر شروط اجتماعية وتاريخية ومؤسسية. يؤكد بورديو أن "كل معرفة هي موقع داخل مجال، وتستمد قيمتها من علاقات القوة التي تحدد ما يجب اعتباره حقيقة علمية" (Bourdieu, Pierre.1992). كما يشير كاستلز إلى أن المجتمعات الحديثة أصبحت "تنتج المعرفة وفق منطق شبكات القوة، لا وفق حياد أكاديمي مطلق" (Castells, Manuel.2000). وعليه، فإن الإنتاج المعرفي هو نتاج تفاعل بين الفاعلين والمؤسسات والمعايير والقيم، بحيث يخضع لتوازنات الحقل الأكاديمي أكثر مما يخضع لبراءة العلم

2.3 المعرفة العلمية:

المعرفة العلمية هي ذلك النسق من المفاهيم والنظريات والمناهج التي تتأسس على البرهان، والدليل التجريبي، والتحليل المنهجي. غير أن هذه المعرفة لا تتمتع بالحياد التام كما يعتقد البعض، إذ يشير بوبر إلى أن "العلم لا يبدأ بالمعطيات بل بالافتراضات" (Popper, Karl.1963)

ما يعني أن المعرفة العلمية تحمل دائما زاوية نظر معينة. كما يرى كون أن "العلم يتقدم داخل نماذج إرشادية لا تخلو من تأثير ثقافي وتاريخي" (Kuhn, Thomas, 1970). ومن ثم، فإن المعرفة العلمية في العلوم الاجتماعية، وخاصة في التربية، تتأثر بالبيئة التي تنتج داخلها، مما يجعلها جزءا من جدلية أوسع بين الموضوعي والذاتي.

3.3 الأيديولوجيا:

الأيديولوجيا نسق من الأفكار والقيم والتمثيلات التي تهدف إلى تفسير الواقع أو إعادة إنتاجه، وقد تكون واعية أو غير واعية، معلنة أو مضمرة. يرى ألتوسير أن الأيديولوجيا "تشتغل على الأفراد بوصفهم ذواتا، وتمنحهم أنماط تفكير قبل أن يدركوا ذلك" (Althusser, Louis, 1971). ويضيف إغلستون أن الأيديولوجيا "ليست مجرد أفكار سياسية، بل منظومة رمزية تحكم إدراكنا للعالم" (Eagleton, Terry, 1991). ومن ثم، فإن الأيديولوجيا ليست تضادا للعلم فحسب، بل هي جزء من البنية العامة التي توجه إنتاج المعرفة داخل المؤسسات التعليمية، خاصة حين تتحول المعرفة إلى أداة لإعادة إنتاج السلطة.

4.3 الحقل الأكاديمي:

الحقل الأكاديمي فضاء اجتماعي منظم بعلاقات قوة ورهانات رمزية ومهنية، يتنافس فيه الفاعلون (أساتذة، باحثون، مؤسسات) من أجل الشرعية العلمية. يعرفه بورديو بأنه "فضاء مستقل نسبيا، تحكمه قوانينه الخاصة ومعاييرها الداخلية" (Bourdieu, Pierre, 1984). كما يرى كوليز أن الحقل الأكاديمي يشبه "شبكة احترافية تنتج المعرفة وفق قواعد اجتماعية أكثر منها قواعد معرفية صافية" (Wacquant, 1992).

(Loïc,2006). ومن خلال هذا المنظور، يصبح الحقل الأكاديمي مسرحاً لإعادة إنتاج النماذج الفكرية السائدة، حيث تتحدد مكانة المعرفة من خلال موقع منتجها داخل العلاقات الهرمية للمؤسسة الجامعية.

4.بنية الحقل الأكاديمي وإنتاج المعرفة:

تستند هذه الزاوية التحليلية إلى النموذج السوسيولوجي الذي طوره بيير بورديو في إطار السوسيولوجيا البنيوية التكوينية، والذي يفترض أن الحقل الأكاديمي ليس مجرد فضاء محايد لتوليد المعرفة، بل هو ميدان صراعي تُعاد داخله صياغة العلاقات بين الفاعلين وفقاً لرأس المال الرمزي المتفاوت الذي يمتلكونه. فالمؤسسة الجامعية، وفق هذا المنظور، تمثل فضاءً اجتماعياً منظماً تُنتج داخله البضائع الثقافية — من نظريات ومناهج وأطر تحليلية — ضمن قواعد غير متكافئة تحدد ما يُعد معرفة شرعية وما يُقصى إلى الهامش، ووفقاً لبورديو، فإن ما يبدو إنتاجاً معرفياً «علمياً» هو في كثير من الأحيان نتيجة تفاعل معقد بين الرهانات الفكرية من جهة، والضغوط المؤسسية والتراتبيات الرمزية من جهة أخرى. وبذلك يصبح الحقل الأكاديمي ميداناً لإنتاج المعنى وإعادة إنتاج الهيمنة في آن واحد، حيث تتجسد السلطة المعرفية عبر عمليات الفرز والتصنيف، والاعتراف، وإضفاء الشرعية على خطاب دون آخر.

1.4 الآليات المؤسسية المؤثرة:

1. آليات الانتقاء والترقية:

يشكل نظام التوظيف والترقية أحد أهم الآليات التي تعيد إنتاج البنية السلطوية داخل الجامعة. فالمسارات المهنية للأكاديميين غالباً ما تُضبط وفق معايير تقيّم المطابقة مع الاتجاهات السائدة داخل الأقسام العلمية. ويؤدي ذلك إلى تعزيز الاستنساخ الاجتماعي (Bourdieu, Pierre, 1988)؛ إذ يميل الأساتذة إلى دعم طلاب وباحثين يشتركون معهم في المرجعيات النظرية والميول الإيديولوجية. وبذلك تُعاد إنتاج البنية الفكرية ذاتها عبر الأجيال، ما يحدّ في الغالب من بروز مقاربات نقدية أو بديلة.

2. اقتصاديات المعرفة الأكاديمية:

أضحت المعرفة نفسها جزءاً من اقتصاد رمزي ومادي متداخل⁽¹⁰⁾. فالتمويل البحثي الموجه، سواء من الدولة أو من مؤسسات دولية، يحدد أولويات البحث، ويدفع نحو محاور قد لا تعبر بالضرورة عن الحاجات العلمية أو المجتمعية الحقيقية، بل عن أجندات سياسية أو تنموية مفروضة. وتُعد المجالات الدولية المصنفة إحدى أدوات تكريس الهيمنة الأكاديمية الغربية؛ إذ تفرض نماذج معيارية في الكتابة والمنهج والتقديم، ما يدفع الباحثين إلى تطويع موضوعاتهم لتلائم متطلبات هذه الهيئات بدل الاستجابة لسياقاتهم المحلية

3. الهرمية المعرفية:

رغم الطابع المعلن للعلم بوصفه مجالاً مفتوحاً، إلا أنّ داخله تراتبيات دقيقة تحدد ما يُعد معرفة «رفيعة» وما يُدرج ضمن المستويات الدنيا. وتتجسد هذه الهرمية في تفاوت المكانة بين المناهج—مثل الأفضلية الممنوحة للسوسيولوجيا الكمية على الكيفية، وفي التمييز بين النظريات السائدة التي تُقدّم بوصفها «معايير»، والنظريات الهامشية التي تُعتبر تخصصية أو غير مركزية. ويساهم هذا البناء التراتبي في إعادة إنتاج هيمنة معينة، ويحدّ من التنوع النظري والمعرفي داخل الحقل.

4. الهوية المزدوجة للأكاديمي السوسيولوجي:

تطرح هذه الزاوية إشكالية محورية تتمثل في الازدواج الهوياتي الذي يعيشه الباحث السوسيولوجي بين موقعين متوترين: موقع *المثقف العضوي* كما صاغه أنطونيو غرامشي، وموقع *الخبير التقني* الذي تنتجه المؤسسة الأكاديمية الحديثة. فالمثقف العضوي، وفق غرامشي، هو ذلك الفاعل "المنخرط في صراعات المجتمع والمرتبط بكتلة اجتماعية تاريخية" (Gramsci, Antonio, 1971) بينما يميل النموذج الأكاديمي المعاصر إلى تحويل الباحث إلى منتج لمعرفة معيارية «محايدة» تُستهلك ببيروقراطياً في التخطيط والسياسات العامة، وتُجرّد—على مستوى الخطاب—من رهاناتها الاجتماعية والسياسية.

هذا التوتر البنيوي يجعل السوسيولوجي يتحرك داخل فضاء معرفي مزدوج: فهو من جهة مطالب بامتلاك الحد الأدنى من المسافة العلمية

لضمان الصرامة المنهجية، ومن جهة ثانية يجد نفسه مدفوعاً إلى التعامل مع عالم اجتماعي مليء بالظلم وعدم المساواة، ما يستدعي — أخلاقياً — اتخاذ موقف أو الانحياز لقضايا بعينها. ويشير بيير بورديو إلى هذا المأزق حين يؤكد أنّ "العالم الاجتماعي لا يمكن تحليله بفعالية دون أن ينخرط الباحث في نقد بنياته نفسها" (Bourdieu, Pierre, 1988)

1.4 تجليات التناقض:

1. التوتر المعرفي - الأخلاقي:

يتجسد التناقض الأول في الصراع بين الالتزام الأخلاقي بقضايا العدالة الاجتماعية والتمييز، وبين مطلب الحياد المنهجي الذي تفرضه التقاليد الأكاديمية. فالانخراط في قضايا المجتمع قد يُقرأ — مؤسسياً — كخروج عن مسافة الباحث، بينما يؤدي الالتزام بالحياد المطلق إلى تحويل السوسيولوجيا إلى مجرد "تقنية وصفية" لا تمتلك قدرة نقدية. وهذا ما يجعل السوسيولوجي يعيش شعوراً دائماً بالمفاضلة بين ما يجب أن يقوله وما يُسمح له بقوله داخل الحقل الأكاديمي.

2.4 العلاقة الثلاثية المعقدة

يجد الباحث نفسه داخل شبكة معقدة من العلاقات المتداخلة، تتحدد عبرها حدود الفعل ومساحات النقد:

- الباحث ↔ المؤسسة الأكاديمية: حيث تشكّل شروط التوظيف والترقية والتمويل قيوداً على الاستقلالية الفكرية، وتعيد إنتاج نموذج الخبير الملتزم بالمعايير الرسمية.

• الباحث ↔ المجتمع والحركات الاجتماعية: وهنا يظهر البعد الرسالي للسوسيولوجيا كمعرفة نقدية مرتبطة بالتحويلات الاجتماعية وبمطالب الفئات المهمشة.

• الباحث ↔ السلطة السياسية: إذ قد يرتبط التمويل، والولوج إلى البيانات، وإمكانات النشر، بعلاقات تفاوضية مع الدولة قد تُقيد مضمون البحث أو اتجاهاته.

هذه العلاقات ليست خطية، بل تتفاعل بطريقة تجعل الهوية الأكاديمية دائماً في حالة إعادة تشكيل.

3.4 استراتيجيات التوفيق بين الهويتين

أمام هذا الانقسام، يطوّر السوسيولوجيون استراتيجيات متعددة تهدف إلى إدارة التوتر بدل حله:

1. التقسيم الزمني: أي الفصل بين إنتاج أبحاث أكاديمية معيارية تُقدّم وفق قواعد الحقل العلمي، وبين ممارسة نشاط مدني أو نقدي خارج أسوار الجامعة.

2. التضمين الخفي: حيث تُدرج القيم النقدية داخل الإطار المنهجي الصارم من دون إعلان مباشر، عبر اختيار الموضوعات، أو زوايا التحليل، أو الأسئلة التي تبدو علمية، لكنها تحمل بعداً أخلاقياً.

3. التمرد المؤسسي: ويتمثل في تحويل الجامعة نفسها إلى فضاء للنقاش العمومي ولإعادة إنتاج المعرفة النقدية، بما يجعلها أداة للتغيير الاجتماعي وليس مجرد جهاز بيروقراطي لإصدار الشهادات.

تظهر هذه الاستراتيجيات أنّ الهوية المزدوجة ليست حالة عابرة بل جزءاً بنوياً من ممارسة السوسيولوجيا الحديثة، وأنّ السوسيولوجي المعاصر يتنقل باستمرار بين منطق العلم ومنطق الالتزام.

5. إشكالية الدور الاجتماعي والمعرفي للسوسيولوجي في ضوء نظريات الفعل الأكاديمي:

تأسس هذه الزاوية على مجموعة من الإسهامات الكلاسيكية والمعاصرة التي حاولت تحديد موقع الباحث السوسيولوجي بين مقتضيات العلم ورهانات المجتمع، فقد ميّز ماكس Weber في محاضراته الشهيرة (1919) "Science as a Vocation" بين السياسي والعالم، مؤكداً أنّ "المعرفة العلمية لا يمكن أن تُملّي على الفاعل ما ينبغي عليه فعله، بل تخبره فقط بما سيتربّ على فعله. (Weber, 1919) "هذا التمييز الشكلي بين الواقع والقيمة، أو ما عرف لاحقاً بـ"الموقف من القيمة" أسّس لجدل طويل حول حدود التزام الباحث بالقضايا العامة.

في مقابل هذا التصور، يقدّم سي. رايت ميلز من خلال مفهوم الخيال السوسيولوجي منظوراً يربط بين البنى الاجتماعية الكبرى والتجارب الفردية؛ إذ يرى أنّ مهمة السوسيولوجيا تكمن في "تحويل المشكلات الشخصية إلى قضايا عمومية. (Mills, 1959) "وهنا يصبح السوسيولوجي وسيطاً معرفياً بين عالم الأفراد وعالم البنى، ما يمنحه دوراً اجتماعياً لا يمكن فصله عن دوره العلمي.

ويطوّر مايكل بوراوي هذه الإشكالية عبر عمله حول السوسيولوجيا العمومية، حيث يقترح تصنيفاً رباعياً للحقل السوسيولوجي: سوسيولوجيا مهنية، وسوسيولوجيا سياسية، وسوسيولوجيا نقدية، وسوسيولوجيا عمومية. (Burawoy, 2005) وفق هذا التصور، لا يعمل الباحث السوسيولوجي داخل فضاء علمي واحد، بل يتنقل بين مجالات تتطلب أدواراً مختلفة، من إنتاج المعرفة الأكاديمية المتخصصة إلى الانخراط في النقاش العمومي وصياغة البدائل الاجتماعية.

أما فركل وغروس، فيطرحان نموذجاً تحليلياً حول الحركات العلمية/الفكرية باعتبارها "جهوداً جماعية تهدف إلى تغيير الحقول العلمية من الداخل عبر إعادة تعريف الحدود المعرفية والسلطوية" (Frickel and Gross, 2005) ويمكن هذا المنظور من فهم كيف تتشكل مجموعات أكاديمية تسعى إلى تغيير قواعد الاشتغال المعرفي، وكيف يتولد من داخل الحقل نفسه نزوع نحو الإصلاح أو المقاومة.

1.5 التوترات المكوّنة للدور السوسيولوجي :

1. بين الحياد العلمي والدافع القيمي:

يتجلى التوتر الأول في الصراع بين مطلب الحياد الذي دافع عنه ويبر وحاجة السوسيولوجيا إلى ربط الذاتي بالموضوعي، كما يؤكد ميلز. فالتزام الباحث بالتحليل العلمي لا يمنع ظهور موقف قيمي ضمني يتجسد في اختيار المشكلات، وصياغة الأسئلة، وتحديد الفئات الاجتماعية الجديدة بالدراسة.

2. بين السوسيولوجيا المهنية والسوسيولوجيا العمومية:

وفق بوراوي، تتعرض السوسيولوجيا لضغوط تجعلها تميل نحو «التكنوقراطية» عبر التركيز على السوسيولوجيا المهنية التي تخدم المؤسسات. لكن هذا التوجه يُوازن عبر السوسيولوجيا العمومية التي تطرح أسئلة المجتمع الكبرى، وتعيد وصل المعرفة بالسياق الاجتماعي والسياسي. وهنا تظهر هوية مزدوجة شبيهة بما طرح في غرامشي حول المثقف العضوي، ولكن من داخل الحقل العلمي ذاته.

1.2 الحركات العلمية كتعبير عن التوتر الداخلي:

تقترح نظرية فركل وغروس أنّ التوترات ليست فقط بين الباحث والمجتمع أو الدولة، بل أيضاً بين الباحثين أنفسهم داخل الحقل. فالمجموعات العلمية قد تبادر إلى تغيير قواعد الإنتاج المعرفي عبر استراتيجيات جماعية تهدف إلى كسر الهيمنة المعرفية السائدة أو توسيع أفق الموضوعات البحثية المهمّشة. وبذلك يصبح الحقل السوسيولوجي فضاءً صراعياً يتجاوزه الابتكار والمحافظة، والسلطة والمعارضة.

6. الإيديولوجيا في قلب المنهج العلمي:

تسعى هذه الزاوية إلى مساءلة الفصل التقليدي بين المنهج العلمي بوصفه إطاراً «محياداً» والإيديولوجيا بوصفها انحيازاً خارجياً. فالاختيارات المنهجية—كما تشير الأدبيات الكلاسيكية والمعاصرة—لا تنفصل عن سياقات إنتاجها الاجتماعية والسياسية. ويؤكد فيبر في

Science as a Vocation أن القيم لا تُقصى بالكامل من العمل العلمي،
حتى عندما يُمارس التحليل وفق قواعد موضوعية. (Max Weber
(1919)

1.6 تجليات الإيديولوجيا في المنهجية:

1. في المنهج الكمي:

يتجلى البعد الإيديولوجي في المقاربة الكمية على مستويات متعددة:
اختيار المؤشرات الإحصائية: المؤشر هو بناء اجتماعي وسياسي قبل أن
يكون تقنية قياس.

إعادة: ينتقد ميل السوسيولوجيا الكمية إلى اختزال الواقع المعقد في
متغيرات رقمية جامدة.

قياس الفقر مثلاً: الاختصار على خط الدخل يعكس رؤية اقتصادية
ضيقة، تتجاهل الأبعاد الإنسانية للكرامة والقدرة والتمكين.

2. في المنهج الكيفي:

حتى المقاربة الكيفية، التي تبدو أكثر مرونة ونقدية، لا تخلو من إنتاج
إيديولوجي:

تحيزات اختيار المبحوثين: العينة تُبنى في كثير من الأحيان وفق موقع
الباحث الاجتماعي والثقافي.

تحليل الخطاب كآلية قوة: يوضح بوراوي أن الباحث قد يعيد إنتاج
الهيمنة عبر إسقاط تصنيفاته على أصوات المشاركين (Michael

Burawoy, 2005)

محدودية التمثيلية: دراسات الحالة قد تُقدّم بوصفها نموذجاً تفسيرياً عاماً بينما تعكس رؤية جزئية للغاية.

2.6 الانعكاسية: ضرورة منهجية لا تكفي لتجاوز الإيديولوجيا

تُطرح الانعكاسية كحلّ لتخفيف التحيز:

انعكاسية منهجية: الاعتراف بتأثير الباحث على المعطيات.

انعكاسية إبستمولوجية: كما بيّنها سكوت عند تحليل الحركات العلمية، وهي مساءلة الشروط المؤسسية والمعرفية لتشكّل المنهج نفسه، لكن هذه الانعكاسية تبقى محدودة لأن الإيديولوجيا ليست مجرد وعي فردي، بل بنية كامنة في مؤسسات البحث والتمويل والنشر.

3.6 إعادة قراءة ويبر: حدود وفاعلية "الموقف من القيمة":

يُظهر فيبر أن "الموقف من القيمة" (Weber, 1919) ليس دعوة لتعقيم العلم من القيم، بل تنظيماً لحضورها عبر ثلاث لحظات:

- اختيار الموضوع (قيمي بطبيعته)
- التحليل الموضوعي (يفترض الصرامة والبعد عن الأحكام المعيارية)
- تأويل النتائج (عودة مشروعة للقيم في تفسير الدلالات الاجتماعية والسياسية).

وبذلك تُصبح الإيديولوجيا جزءاً منظماً من العمل العلمي، لا ظلاً غير واع.

حوصلة:

تستند زاوية بنية الحقل الأكاديمي وإنتاج المعرفة إلى نموذج بورديو السوسيولوجي، الذي يرى الحقل الأكاديمي كساحة صراعية تتحكم فيها العلاقات بين الفاعلين وفقاً لرأس المال الرمزي الذي يمتلكونه. المؤسسة الجامعية ليست فضاءً محايداً لتوليد المعرفة، بل ميدان لإنتاج البضائع الثقافية وفق قواعد غير متكافئة تحدد ما يُعد معرفة شرعية وما يُدرج ضمن الهامش. كما تعكس الديناميات المؤسسية مثل نظام التوظيف والترقية، التمويل الموجّه، والمجلات المصنفة، إعادة إنتاج البنى السلطوية والهيمنة المعرفية الغربية، ما يحد من التنوع النظري ويعزز الاستنساخ الاجتماعي داخل الجامعة.

يعيش الأكاديمي السوسيولوجي هوية مزدوجة بين المثقف العضوي المنخرط في قضايا المجتمع، والخبير التقني المنتج معرفة معيارية قابلة للاستخدام البيروقراطي، ما يولد توتراً مستمراً بين الالتزام الأخلاقي ومتطلبات الحياد المنهجي. تتضح أبعاد الدور الاجتماعي والمعرفي للسوسيولوجي عبر مفاهيم مثل الموقف من القيمة عند فيبر، والخيال السوسيولوجي عند ميلز، وتقسيم الحقل السوسيولوجي عند بورا وانعكاسية المنهج العلمي لتخفيف تأثير الإيديولوجيا. هذه الديناميات توضح أن الإنتاج المعرفي ليس منفصلاً عن السياق الاجتماعي والسياسي، وأن الإيديولوجيا جزء من منظّم من العمل العلمي، لا ظلاً غير واعٍ.

آآآمة:

آسآنآ زآوة بآية الآل الأكاءمي وإآآاآ المعرفة إلى آآوآ بورآو الذي يرى الآل الأكاءمي كسآآة صراعية تُعاآ فيها صياغة العلاقاآ بين الفاعلين وفق رأس المال الرمزي الذي يآلكونه. فالآامعة ليست فضاء آآاآآا، بل مآآان لإآآاآ البضائع الآقافية ضمن قواعد غير آآافآة آآآ ما يُعآبر معرفة شرعية وما يُآرآ في الهامش. آآآلى آذه الآنامياآ عبر آلياآ الآوظيف والآرقية، اقآصاآياآ المعرفة الأكاءمية، والآراآبياآ الآآلية، ما يعزز الاسآنساآ الاآآماعي ويآآ الآآوع النظري. يعيش الأكاءمي آوة مزدوجة بين الآآقف العضوي والآآبر الآقني، ما يولآ صراعاً بين الاآآزام الآآلاقي والآآاآ المآآي. يسآعين السوسياولواآيون باسآراآبياآ مثل آقسيم الآوقآ بين البآآ والآشاط المآني أو الآضمين الآفي للقيم أو اسآآاآ الآامعة كمنصة للآآير الاآآماعي. يبرز آور الباآآ الاآآماعي وسيطاً بين البنى الكبرى والآآربة الفردية، وآآهر الإيآيولواآيا آزآا لا يآفصل عن المآآ العلمى، مع ضرورة الانعكاسية لآآفيف آآآراآها، وفقاً لمفهوم المواقف من القيمة عآآ فيبر .

قائمة المراجع:

1. Bourdieu, P. (1984). *Homo academicus* Stanford University Press.P51
- Collins, Randall. (1998) *The Sociology of Philosophies: A Global Theory of Intellectual Change*. Harvard University Press,P33
2. .Bourdieu, P. (1992). *The logic of practice*. Stanford University Press.P64
3. Castells, M. (2000). *The rise of the network society* . Blackwell.P95
4. Popper, K. (1963). *Conjectures and refutations* . Routledge.P32
5. Kuhn, T. (1970). *The structure of scientific revolutions*. University of Chicago Press.P63
6. Althusser, L. (1971). *Ideology and ideological state apparatuses*. Monthly Review Press.P84
7. Eagleton, T. (1991). *Ideology: An introduction*. Verso.P36
8. Wacquant, L. (2006). *Body and soul*. Oxford University Press.P85
9. Collins, R. (1998). *The sociology of philosophies: A global theory of intellectual change*. Harvard University Press.P96

10. Gramsci, A. (1971). *Selections from the prison notebooks* . International Publishers.P12
11. Weber, M. (1919). *Science as a vocation* (p. 23).
12. Mills, C. W. (1959). *The sociological imagination*. Oxford University Press.P08
13. Burawoy, M. (2005). For public sociology. *American Sociological Review*, 70(1), 4–28.
<https://doi.org/10.1177/000312240507000102>
14. Frickel, S., & Gross, N. (2005). A general theory of scientific/intellectual movements. *American Sociological Review*, 70(2), 204–232.
<https://doi.org/10.1177/000312240507000203>